النص المعجمي في كتاب الفَسر لابن جني(392هـ).

.The Lexical text in El Fassr book, for Ibn Jinni

د/غياط حنان*

المركز الجامعي مغنية ghiat.hanane@cumaghnia.dz

تاريخ الإرسال: 10/12 /2023	تاريخ القبول:30 /2023/11	تاريخ النشر:26 /2023/12

ملخص:

إن كتاب الفسر لابن جني هو شرح لديوان الشاعر "المتنبي"، ولم ينح فيه "ابن جني" منحى الشراح الآخرين للشعر، من حيث الوقوف على معاني الشعر، بل إنه تميز عن غيره في الشرح بمنهجية لغوية خاصة مما يجعله يحوي بين دفتيه المئات من النصوص المعجمية التي تتطرق لقضايا المفردات من كل جوانبها.

وبالتالي هو كتاب صالح لأن يكون مدونة خصبة لدراسة المفردات ومظنة لعمل معجمي مفيد للدراسة في ضوء الصناعة المعجمية الحديثة.

الكلمات المفتاحية : ابن جني، الفسر، النص المعجمي، الصناعة المعجمية.

Abstract:

This study aims at shedding light on one of the frame works of Ibn Djini entitled : « El Fasr »
which is considered as an illustration (explanation) of the divan set by the poet El Mutanabi.
Mean while, Ibn Djini did not take the same tendency of the other explicators of poetry since
he opted for a so particular and new methodology. This gave him the ability to integrate hundred of lexical texts that tackled the treatment of terms from various angles.
All these features made of this book a fertile and beneficent as it can be applied for the
.industry of such a contemporary lexicography

Keywords: Ibn Djini – El Fasr – Lexicography – Lexical text .

*د/غياط حنان

1.مقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين، وبعد؛ إنّ ما يوصف به التراث المعجمي العربي هو الغنى والازدهار، وقد ألّف المعجميون العرب العشرات من المعاجم اللغوية، ولا يكاد يخلو قرن من القرون من ظهور معجم أو أكثر، وتختلف هذه المعاجم فيما بينها حجما ومنهجا ومادّة، وهذا الغنى في المعاجم العربية قد جعل المستشرقين يقرّون بتفوّق العرب في مجال صناعة المعاجم.

وعندما نتحدّث عن التراث المعجمي العربي فلا نقصد به المعاجم العربية المعروفة وحسب، بل إنّ الصناعة المعجمية تتجلّى حتّى في الكتب اللغوية وكتب التّفسير اللغوي للقرآن الكريم وكتب شرح الشعر وغيرها، ففي هذا التراث اللّغوي الكثير ممّا يفيد في صياغة مقاربة معجمية عربية.

ويُعَدّ "ابن جني"(392ه)، العالم اللّغوي الكبير، رائدا حقيقيا في دراسة المفردات دراسة علمية وعميقة في جل مصنفاته، فقد أسهم في كل العلوم اللغوية، ونبغ فيها، وأجاد وأضاف لكل علم من ذكاءه وفطنته، ونجد في كتبه لشرح الشعر شروحا للمئات من الألفاظ، وإنّ المتأمل فيها ليجد ملامح الصناعة المعجمية، والّتي تصلح أن تكون دراسة جادة في ضوء المعجمية الحديثة .

وإذا كان كتاب "الفسر" لابن جني مصنفا لشرح ديوان المتنبي وفسر معانيه، فإنه يتميز عن غيره من كتب شرح الشعر بمنهجية لغوية خاصة، تتجلّى في ما تحمله تلك النصوص اللغوية من قضايا معجمية أصبحت تؤهّله بأن نطلق عليه بالنصوص المعجمية .

ومن هنا جاءت محاولتنا في الإجابة عن إشكالية مهمة وهي: هل يمكن أن تتجلى مقومات النص المعجمي في كتاب لشرح للأشعار؟ وماهي مقومات النص المعجمي في كتاب الفسر لابن جني؟ إن هذا البحث يقوم على أساس الدمج بين التراث اللغوي العربي العريق والنّهل مما جادت به النظريات اللسانية في دراسة المفردات بناء ومحتوى، ولذلك اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي من أجل وصف كتاب ابن جني وتحليل نصوصه المعجمية.

2.. النص المعجمي:

1.2.مفهومه:

إنّ النّص المعجمي هو جزء من النّص العامّ أو الكبير الّذي يتكون منه المعجم، حيث إنّ النّص العام هو ذلك النّص الكبير الذي يتكوّن منه المعجم ككلّ، ومجموع النصوص المعجمية الصغيرة هو ما يولّد لنا معجما عامّا قائما بذاته (الحمزاوي، 2004، صفحة 379)، إنّ"النّصّ المعجميّ" هو المقياس الّذي تقاس به جودة المعجم من رداءته، وبضبطه وضبط حدوده يستطيع صانع المعجم أن يتحكم في عمله المعجمي، فتطور المعجم مرهون بتطوّر نصه، ذلك أنّ المعجم ما هو إلاّ تسمية أخرى لمجموعة النصوص المعجميّة ككل.

2.2.أسسه.

إنّ النظريات اللّسانية في العصر الحديث تدعو إلى ضرورة قيام النظرية المعجميّة على مبدأين أساسيين يعدّان من مقوّمات "النّصّ المعجميّ" وهما مبدآ (الجمع والوضع) (بن مراد، أبريل 1424 ه 2003 م، صفحة 03.(

أ- الجمع Corpus .إنّ الجمع يقوم في أساسه على ضبط الرّصيد الجزئي الذي قد يصغر، وقد يكبر، من المفردات الّتي سيشتمل عليها المعجم المدوّن.

إنّ هذا الجمع للمفردات هو ما يكوّن ويفترض المادّة الّتي يجب أن يستوعبها المعجم (الحمزاوي، 1986، الصفحات 139 -140)، ذلك أنّه يستحيل بناء معجم متكامل ما لم تكن مادّته مجموعة جمعا وافيا متكاملا.

إنّ الجمع يقوم على ركنين أساسيين هما:

-1المصادر التي تعتمد في جمع الرصيد المعجمي .

-2والمستويات اللغوية التي تنتمي إليها المفردات المجمعة.

وقد قسم "محمد رشاد الحمزاوي" الجمع إلى قسمين هما: المداخل والنص المحض.

-1المدخل أو العنوان: أي الكلمة المعروضة للشّرح والتفسير ويطلق عليها أهل الاختصاص مُعَيْجِمَة Lexie نسبة إلى المعجم (الحمزاوي، 2004، صفحة 379)، وهي تتكوّن من ثلاثة أنواع:

*مُعَيْجِمَة بسيطة .Lexie simple

*مُعَيْجِمَة مركّبة.Lexie composée

*مُعَيْجِمَة معقّدة) : Lexie complexeالحمزاوي، 2004، صفحة 379 .(

-2النص المحض أو التعريف: ونقصد به ما يلي المدخل مباشرة، وهو من أهمّ عناصر المعجم؛ لأنّه متّصل بالبحث عن دلالة المدخل ومعناه، ويتكوّن من تعريفات تعتبر أساس النّصّ المعجميّ المكتمل. (الحمزاوي، 2004، صفحة 380)

ب- الوضعOrdre إنّ "الوضع" يتعلّق بترتيب المادّة حسب طريقة معيّنة تيسّر على مستعمل المعجم الفوز بالمعلومات التي يبحث عنها (الحمزاوي، صفحة 140. (

وبذلك فإن مصطلح الوضع يطلق على منهج معالجة المفردات المجمعة قاموسيا (بن مراد، أبريل 1424 هـ 2003 م، صفحة 03.(

والوضع على مستوى النّصّ المعجميّ ينقسم إلى قسمين: ترتيب خارجيّ وترتيب داخليّ:

-1الترتيب الخارجي: ونعني به الترتيب الخارجيّ للمداخل المعجميّة، فهي تَرِد بأشكال وطرق مختلفة في المعجم، ولقد عرفت الساحة المعجميّة العربيّة نظما كثيرة من الترتيب الخارجيّ وقد جمعها "أحمد عبد الغفور عطار" في كتابه "مقدّمة الصحاح"، وقسّمها إلى أربع مدارس (عطار، 1984، الصفحات 59-99-101-104.(

-2الترتيب الدّاخلي: ونقصد به طريقة ترتيب المداخل المعجمية داخليا وهو وارد في المعاجم على وجهين حسب النظرية المعجمية الحديثة:

أ- الترتيب بالاشتراك: ومفاده أن يدرج تحت المدخل الواحد كل معانيه لازمة ومتعدّية، سواء كانت معيجمة بسيطة أو مركّبة أو معقّدة (الحمزاوي، صفحة 348).

ومثاله في المعاجم القديمة ما يلي:

» -العَيْنُ: النَّاظِرَةُ لِكُلِّ ذِي بَصَر... وَمِن البَاب العَيْن: الّذِي تَبْعَثُهُ يَتَجَسَّسُ الخَبَرَ،...وَمنَ البَاب العَيْنُ: الجَارِيَةُ النَّابِعَةُ مِنْ عُيُونِ المَاءِ،... وَمِن البَاب العَيْن: السَّحَابُ مَا جَاءَ مِنْ نَاحِيَةِ القِبْلَةِ،...وَمِنَ البَابِ مَاءٌ عَائِنٌ، أَيْ سَائِلٌ...» (فارس، 1979، الصفحات 199 - 200 – 201).

ب- الترتيب بالتجنيس: إذا كان الترتيب بالاشتراك يقوم على حشد المعاني المختلفة تحت المدخل الواحد، فإنّ الترتيب بالتجنيس يقوم على إدراج كلّ معنى في مدخل يستقلّ به (الحمزاوي، صفحة 384)؛ أي أن المداخل تتعدّد بعدد المعاني الواردة للمادة الواحدة.

3.مقوّمات الجمع المعجمي في كتاب "الفسر."

أصبح من المعروف لدينا أنّ الجمع هو ذلك الرّصيد الّذي يتكوّن من:

-المفردات التي حدّدها المعجميّ لكي تكون مداخل أساسية يقوم على أساسها شرحه.

-والمصادر والمراجع التي يعتمد عليها المعجمي في جمع المعلومات حول المفردات أو المداخل إضافة إلى أنواع الشروح والشواهد التي استقاها من هذا الجمع.

3. 1أنواع المداخل.

إنّ كتاب "الفسر" هوشرح لغوي لديوان المتنبي، حيث بلغ عدد المفردات التي تناولها "ابن جني" بالشرح حوالي ألفين ومائتين وخمسين (2250) مدخلا، وهذا يعني احتواءه على ألفين ومائتين وخمسين (2250) نصّا معجميّا كذلك، وقد تنوعت مداخله فهي كالآتي:

أ- مداخل بسيطة ومركبة:

لقد شرح "ابن جني" مفردات الديوان كما هي، فلم يتصرّف فيها ولم يحاول إرجاع الألفاظ إلى أصولها، ولذلك نجد مداخله نوعان:

*مداخل بسيطة: وهو ما يغلب على الألفاظ الموجودة في الديوان، ومن أمثلة ذلك:

» -العَذْلُ: أَحَرُّ العِتَابِ وأَمَضُّهُ...» (ابن جني، 2004، صفحة 24/1 .(

» -المَلامُ: اللَّوْمُ...يُقال لُمْتُهُ أَلُومُه لَوْمًا فَهُوَ مَلِيمٌ، إذا أتَىَ مَا يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ اللَّوْمَ...» (ابن جني، 2004، صفحة 28/1).

فـ"العَذْلُ"، و"المَلامُ"، هي مداخل بسيطة لأنّها عبارة عن ألفاظ مكوّنة من دال واحد بالإضافة إلى "ال" التعريف في بعض الأحيان، وهذا أقلّ ما يمكن أن يتكوّن منه لفظ من الألفاظ.

*مداخل مركّبة: ونجد هذا النوّع من المداخل بطبيعة الحال عندما يرد اللفظ مركّبا في البيت الشعري المراد شرحه، ومن أمثلة هذا النوع ما يلي:

» -سَوداءُ قَلْبِهِ: الحَبَّةُ السَّوْدَاءُ فِيهِ، يُقَال هُوَ فِي سَوْداءِ قَلْبِه وفِي سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ وَسَوَادِ قَلْبِهِ وأَسْوَدِ قَلْبِهِ، وَجُلْجُلاَن قَلْبِهِ بِمَعْنَى» (ابن جني، 2004، صفحة 26/1).

» -غَارَتِ العَيْنُ: تَغُورُ غَوْرًا، إذَا انْخَسَفَت، وَوَجَبَ القَلْبُ وَجْبًا: إذَا خَفَقَ...» (ابن جني، 2004، صفحة 344/1).إنّ هذين المثالين يوضحان مدى ضرورة وجود المداخل التركيبية في المعجم ذلك أنّ هناك ألفاظا يستحيل معرفة معناها إلاّ من خلال مصاحباتها اللفظية، والمثالان السابقان هما خير دليل، فلو ذهبنا إلى شرح كلّ لفظ على حدة لكان المعنى مغايرا تماما، فالكلمة الأولى لا يصلح معناها إلاّ بمصاحبتها اللفظية لكي يتمّ معناها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ نوعية المداخل في كتاب "الفسر" تتدرّج من واحدة لأخرى، حيث نجد كمًّا هائلا من المداخل البسيطة، بينما تقل نسبة المداخل المركّبة في حين تنعدم المداخل المعقّدة.

ب- مداخل قديمة وحديثة: إنّ "ابن جني" في شرحه لم يلغِ أيّ لفظة أو مفردة لأيّ اعتبار؛ بل إنّنا نجده يشرح الديوان بكامله، وجدير بالذكر أن نقول إنّه لم يضع حدّا وزمانا للمفردات التي يجب عليه تناولها باعتبار فصاحتها أو أنها مولدة أو دخيلة؛ بل اعتبر كلّ الألفاظ مادامت دخلت الاستعمال العربي واجبة الشرح، وهنا نجده أوّل من دعا ضمنا إلى ترك التعسف في اختيار الألفاظ التي تدخل في صناعة المعجم .

وفيما يلي بعض النماذج لأنواع المداخل في كتاب "الفسر:"

*مداخل عربية غريبة؛ ومثاله:

» - اليَلَبُ: أُخْتُلِفَ فِي اليَلَبِ، فَقَالَ بَعْضُهُم تَرِسَةٌ تُعْمَلُ مِنْ جُلُودِ الإِبِلِ غَيْرَ مَدْبُوغَةٍ، وَقَالَ بَعْضُهُم: جُلُودٌ تُظْفَرُ، وَتُنْسَجُ فَيَلْبَسُونَهَا إِذَا لم يَكُنْ لَهَا دُرُوع، فَيُقَالُ تُلْبَسُ مِثْلَ الجَوْشَنِ، ويُقَال: جُلُودٌ تُجْعَلُ تَحْتَ البَيْضِ أو كالبَيْضِ، وقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: اليَلَبُ مَا كَانَ مِن جُنَنِ الجُلُودِ وَلَم يَكُنْ مِنَ الحَدِيدِ، وأَنْشَدَ: عَلَيْنَا البَيْضُ وَاليَلَبُ اليَمَانِي، وَقَالَ الأَصْمَعِي: هِيَ سُيُورٌ تُظْفَر وَيُضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْض وتُلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ خَاصَّةً» (ابن جني، 2004، الصفحات 308/1 - 309).

إنّ هذا المثال يوضح أنّ "ابن جنّي"لم يكن واثقا من معنى هذه اللفظة ولذلك استعان بأقوال من سبقه وبيّن أنّهم اختلفوا في تحديد معناها ولم يبد رأيه نهائيا للفصل في المسألة.

*مداخل معرّبة أو دخيلة؛ وأمثلتها:

» -المَلَابُ: ضَرْبٌ مِنَ الطِّيبِ، وَأَصْلُهُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ...» (ابن جني، 2004، صفحة 273/1 .(

» -الإِسْفَنْطُ: عِنْدَ جَمَاعَتِهم اِسْمٌ رُومِيٌّ...» (ابن جني، 2004، صفحة 380/1.(

وبذلك فإنّ "ابن جني" أصّل للألفاظ الّتي قام بشرحها من خلال بيان ما إذا كانت أصيلة أو مقترضة.

*مداخل لهجية؛ ومن أمثلتها:

» -القَسْطَلُ: الغبار...ويُقَالُ أيْضا: قَسْطَالٌ، وَكَسْطَلٌ، وكَسْطَانٌ، بالنون...» (ابن جني، 2004، صفحة 425/1). فبإشارته إلى اختلاف نطق هذه اللفظة، بسبب الإبدال بين الأصوات (القاف والطاء)، و(اللام والنون)، وغير ذلك، فذلك يوحي بالاختلاف اللهجي في هذه اللفظة، وإن لم يرجع "ابن جني" بكلّ لفظة إلى قبيلتها.

» -التَتْفُلُ: ولَدُ الثَّعْلَبِ، وَهُوَ ثَلاثُ لُغات: تَتْفُلٌ، وتُتْفُلٌ، وَتَتْفَلٌ...» (ابن جني، 2004، صفحة 129.(

*مداخل فصيحة؛ إذ حكم على فصاحتها داخل النص المعجمي المشروح، ومن أمثلتها:

-"التَعَمُّقُ: كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ ذَكَرَهَا سِيبَوَيْه فِي الكِتَابِ» (ابن جني، 2004، صفحة 151).

-"غَمَدْتُ السَّيْفَ وَأَغْمَدْتُهُ، لُغتَانِ فَصِيحَتَان ذكَرَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ» (ابن جني، 2004، صفحة 797).

.2 .3مدوّنة "ابن جني" في كتابه "الفسر:"

كان "ابن جني" أوّل شارح لديوان "المتنبيّ"، وقد شرح الديوان استجابة لطلب "بهاء الدولة البويهي" وحبّا لشاعرية "المتنبي"، وقد اعتمد في شرحه هذا على مصادر عدّة لتعزيز وجهة نظره في شعر "المتنبيّ"، وكانت هذه المصادر عادة ما تأتي بعد وجهة نظر "ابن جني" كحجّة على صحّة ما قاله وإغناءً للشّرح وإفادة للقارئ، وتتلخص مصادر "ابن جنّي" المعجمية في مصدرين اثنين؛ أوّلهما: مشايخه؛ رواة اللغة والأدب، وثانيهما: عن طريق النقل المباشر من الكتب.

أ- من رواة اللغة والأدب: لقد أخذ "ابن جنّي" عن كثير من رواة اللغة والأدب، وكان حريصا على أن يأخذ العلم من أفواه الرواة الأقحاح ذلك أنّه أسلم طريق لإتقان علوم العربية، حيث نجده يصرّح بذلك في بداية مقدّمة كتابه "الفسر" فيقول: «لأَفْوَاهِ الرِّجَالِ مَعْنَى لاَ يُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ أَكْثَرِ الكُتُبِ فِي أَكْثَرِ الأَحْوَالِ» (ابن جني، 2004، صفحة 18/1).

وحفل كتاب "الفسر" بكثير من آراء رواة اللغة والأدب الّذين حظي بهم اهتمام "ابن جني"، وأكثر من أخذ عنهم في هذا الكتاب ثلاثة رواة ثقاة هم: «أبو علي الفارسي(377ه)، وأبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم(354 ه)، وأبو الفرج علي بن الحسين الكاتب(356ه) كما يسميه» (ابن جني، 2004، صفحة 424). ومن أمثلة ذلك:

"» -أَرَّجَانُ": بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَلَكِنَّ العَرَبَ إِذَا نَطَقَت بِالكَلِمَةِ الأَعْجَمِيَّة اِجْتَرَأَتْ عَلَيْهَا، فَغَيَّرَت كَثِيرًا مِنْ أَلْفَاظِهَا وَبِنَائِهَا...قال "أبو علي الفارسي": العَرَبُ إِذَا اشْتَقَّت مِن الأَعْجَمِيّ خَلَّطَت فِيه مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُم فِي تَحْقِيرِ إِبْرَاهِيم بُرَيْه وَلَم تُحْذَف الهَمْزَة لأَنَّهَا زَائِدَةٌ بَلْ هِيَ عِنْدَنَا أَصْلٌ، وَلَكِنْ هَذَا مِنَ التَّخْلِيط الَّذِي ذَكَرْتُ...» (ابن جني، 2004، الصفحات 1151/1 - 1152.(

ب- النّقل المباشر من الكتب: كان "ابن جني" حريصا على الرجوع لأمّهات الكتب والرّسائل لتّدليل لما يذهب إليه، وللأخذ من مصادر العلماء الأجلّاء الذين سبقوه أو عاصروه ويشهد لهم بالرّيادة اللغوية، ومن المصادر التي نجدها حاضرة بقوة في كتاب "الفسر" مايلي:

-1كتاب سيبويه (180ه): وقد رأى "رضا رجب" أنّه قد «ذكره أكثر من سبعين مرّة ناهيك عن الشواهد الكثيرة الّتي يعدّ الكتاب مصدرها الأساس» (ابن جني، 2004، صفحة 421).

وكمثال عن المسائل التي أخذها من الكتاب مايلي:

-قضية جمع التكسير: «وُلَيْدٌ: تَصْغِيرُ وَلَدٍ، والوَلَدُ هنا جَمَاعَةُ، والوُلَيْدُ تَصْغِيرُ وَلَدٍ مِثلَ وَثَنٍ وَوُثَيْنٍ وَأَسَدٍ وَأُسَيْدٍ...ويكُونُ الوَلَدُ أَيْضًا وَاحِدًا، فَيَجُوزُ عَلَى هَذَا أَنَّ الوَلَدَ جَمَاعَةُ وُلْدٍ، كُسِّرَ فَعَلٌ عَلى فُعْلٍ كما ذهب سيبويه إليهِ من أَنَّ الفَلَكَ كُسِّرَ عَلَيْهَا الفُلْكُ» (ابن جني، 2004، صفحة 208/3)، وبذلك فإنّ "ابن جني" قاس جمع "ولد" على فلك استنادا إلى ما ورد على لسان "سيبويه."

-2كتاب "النّوادر في اللغة" (الأنصاري، 1981، صفحة 137) لـ"أبي زيد الأنصاري"(215ه): وقد ذكره "ابن جني" كثيرا في "فسره" (ابن جني، 2004، الصفحات 562/2 – 514).

وكمثال عن المسائل التي أخذها من كتاب النّوادر مايلي:

» -الإجْذَامُ: السُّرْعَةُ فِي السَّيْرِ، وَيُقَالُ أَيْضًا إِجْدَامٌ بالدَّال غَيرَ مُعْجَمَةٍ، قَرَأْتُ عَلى أبي عَلِي فِي نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ، قَالَ: أَجْدَمْتُ بِالفَرَسِ إِجْدَامًا، إِذَا زَجَرْتُهُ للسَّيْرِ، الدَّالُ غَيْرَ مُعْجَمَةٍ...» (ابن جني، 2004، صفحة 346). وبذلك نجده استعان بكتاب النوادر لتبيان التعددّات الهجائية للفظ، فيجوز القول إجدام كما يجوز القول إجذَام بالذّال معجمة.

-3كتاب "الهمز" لـ "أبي زيد الأنصاري" وقد نقل عنه كثيرا من آرائه اللغوية الواردة في هذا الكتاب، من ذلك :

» -الهُرَاءُ: السَّاقِطُ مِنَ الكَلاَمِ الكَثِير الّذِي لاَ خَيْرَ فِيهِ، قَالَ أبو زَيْد فِي كِتَاب الهَمْز: هَرَأَ الرَّجُلُ يَهْرُأُ إِذَا قَالَ الخَنَا والقَبِيحُ» (ابن جني، 2004، صفحة 65).

إضافة إلى هذه الكتب نجد مصنفات أخرى كانت مصادر ذات أهمية في كتاب "الفسر" منها: كتاب القوافي للأخفش(215ه) (ابن جني، 2004، صفحة 117/1)، وجمهرة اللغة لابن دريد(321ه) (ابن جني، 2004، صفحة 143/2)، والوحوش للأصمعي(216ه) (ابن جني، 2004، صفحة 561/1)، والتصريف للمازني(249ه) (ابن جني، 2004، صفحة 530/2) والقلب والإبدال لابن السكيت(224ه) (ابن جني، 2004، صفحة 99/1)، وغيرها.

.3.3الشواهد في كتاب "الفسر":

لقد تنوعت الشواهد في كتابه "الفسر" إمّا للتدليل على صحّة اللفظة أو لتعليله على مدى فصاحة "المتنبيّ"، أو حتى لبرهنته ضمنا على أنّ عصر الاحتجاج الذي حدّده اللغويون بطل وانقضى ما دام هناك ألفاظ أتى بها القرآن الكريم وتحدث بها الرسول صلّى الله عليه وسلم، ووظّفها الشعراء المولّدون.

ولقد تمثلت شواهد "ابن جني" في: الاستشهاد بالقرآن الكريم (ابن جني، 2004، صفحة 11/2)، والحديث النبوي الشريف (ابن جني، 2004، صفحة 310/1)، وكلام العرب (ابن جني، 2004، صفحة 239/1)، والشعر العربي.

وقد حظي الاستشهاد بالشعر في كتاب "الفسر" بمنزلة كبيرة، إذ يعدّ المصدر الأوّل في الاستشهاد عند ابن جني كمّا وكيفا؛ حيث تبلغ عدد الشواهد الشعرية الموجودة في الكتاب خمسة آلاف شاهد من الشعر. ويمكننا أن نقسّم الشعر الذي استشهد به ابن جني إلى ثلاثة أنواع:

-1 الاستشهاد بالشّعر الجاهليّ: وهو ما يمثل النسبة الأكبر من الشعر المستشهد به في "الفسر"، ومن الشعراء الذين استشهد بهم نجد؛ شعراء المعلّقات، امرؤ القيس(80 ق.ه)، وزهير بن أبي سلمى(13ق.ه)، وعنترة(22 ق.ه)، والأعشى(07 ق.ه)، والنابغة الذبياني(18 ق.ه)، وغيرهم.

ومثال ما استشهد به من الشعر:

» -العَذْلُ: أَحَرُّ العِتَابِ وَأَمَضُّهُ...، قال زهير بن أبي سلمى (زهير، 1994، صفحة 52:(

غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدْوَةً فَرَأَيْتُ*** قُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَاذِلُهُ» (ابن جني، 2004، صفحة 25/1.(

-2الاستشهاد بالشعر الاسلامي والأموي والعباسي: وممن استشهد بشعرهم، نجد: كعب بن زهير(26ه)، حسان بن ثابت(54ه)، قيس بن الملوح(68ه)، الفرزدق(116ه)، الأخطل(70ه)، وجرير(110ه)، وغيرهم.

ويكفي أن نورد مثالا عن استشهاده بشعراء العصر الإسلامي، ومثاله قوله:

» -المَتْبُولُ: المُهْتَم الّذِي كَأَنَّهُ أُصِيبَ بِتَبَلٍ وَهُوَ الغَمُّ، قال حسان بن ثابت (حسان بن ثابت، 1983، صفحة 52:(

تَبَلَتْ فُؤَادَكَ فِي المَنَامِ خَرِيدَةً***تَشْفَى الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ» (ابن جني، 2004، صفحة 38/1.(

-3الاستشهاد بشعراء ما بعد عصر الاحتجاج: لم يكن "ابن جني" من اللّذين يردّون شعر شاعر لمجرد أنّ قائله لم يولد في عصر الاحتجاج، أو أنّه لم يكن من الشعراء الجاهليين، بل نجده مع كل شعر بليغ. فهو يقول في مقدّمة كتاب الفسر مدافعا عن المتنبي ومن ثمّ على كلّ شاعر متأخر «ومَا لِهَذَا الرَّجُلَ الفَاضِلَ مِنْ عَيْبٍ عِنْدَ هَؤُلاَءِ السَّقَطَةَ الجُهَّالِ وَذَوِي النَّذَالَةَ وَالسُّفَالِ إلاَّ أَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ مُحْدَثٌ» (ابن جني، 2004، صفحة 16/1)، وممّن استشهد بشعرهم: أبو نوّاس(198هـ، أبو تمام(223هـ)، وديك الجن الحمصي(235هـ)، ابن الرومي(284هـ)، والبحتري(284هـ)، وغيرهم.

وهنا مسألة مهمّة تذكر في قضية الاستشهاد بالشعراء المحدثين في الكتاب، وهو أنّنا لا نجد استشهادا واحدا لهؤلاء كتدليل على صحة لفظ أو شرح له، وإنما كلّ الاستشهادات الّتي كانت من هذا النوع جاءت للتّدليل على ما يوافق المعنى العام للبيت، ولهذا السبب وجدناه يقول في ثنايا "فسره": «والمُحْدَثُون يُسْتَشْهَدُ بِهِم فِي المَعَانِي كَمَا يُسْتَشْهَدْ بِالقُدَمَاءِ فِي الأَلْفَاظِ» (ابن جني، 2004، صفحة 432) ، وكأنه حدّد لنفسه منهجا تكون فيه الألفاظ مادّة يستشهد بها من شعر القدماء والمعاني يستشهد بها من شعر المحدثين، من أمثلة هذا النوع من الاستشهادات قوله:

» -وَنُعْمَى النَّاسِ أَقْوَالُ، كَقَوْلِ أبِي تمّام (أبو تمام، د ت، صفحة 89/3).

مُلْقَى الرَّجَاءِ وَمُلْقَى الرَّحَلِ فِي نَفَر***الجُودُ عِنْدَهُمُ قَوْلٌ بِلاَ عَمَلِ» (ابن جني، 2004، صفحة 233/3). وبذلك فإنّ مصادر الاستشهاد كلّها كانت حاضرة في كتاب "الفسر" سواء النثرية أو الشعرية، وبذلك فإنّ من أهم عناصر النص المعجمي والمتمثّل في الاستشهاد كان حاضرا وبقوّة في هذا الكتاب الّذي يعدّ على الرغم من ذلك شرحا للشعر وليس معجما.

.4مقوّمات الوضع المعجمي في كتاب "الفسر."

4. 1الترتيب الخارجي للمداخل:

إذا تحدثنا عن الترتيب بصفة عامة في كتاب "الفسر" فإننا نقول إنّ "ابن جني" اعتمد ترتيبا واضحا وممنهجا في عرضه للأبيات الشعرية للدّيوان، وقد ذكرنا ذلك سابقا حين تحدّثنا عن منهج "ابن جني" في شرحه للديوان، ورأينا أنّه تتبع الترتيب الألف بائي، وأنّه كانت لديه نظرة في ترتيب بعض الحروف كالهمزة مثلا.

ولكن إذا جئنا إلى قضية مهمة تخص الصناعة المعجمية؛ بل تعتبر أهم مطلب ييسّر أو يعسّر استعمال المعجم ككل، وهي قضية ترتيب المداخل، فإنّنا نؤكّد أن "ابن جني" لم يول هذه المسألة أيّة أهمية، وذلك أن المادّة التي كانت بين يديه هي التي حدّدت طريقة العمل والشرح، ومسألة مهمة تذكر أنّ "ابن جني" حين قام بشرح الألفاظ شرحها كما استعملها "المتنبي" في شعره، ولم يقم بأي تغيير فيها، وعذره في ذلك أنّه لم يرم إلى وضع معجم لغوي له تقنياته الأساسية، والّتي يعدّ التّرتيب الخارجي من أهمّها، بل كان يحاول شرح ما استعصى من الألفاظ وفقط.

ولهذا لا نأخذ عليه عدم ترتيبه للألفاظ وشرحه مداخل بدون تجريد أو بدون ردّ الحروف إلى أصولها، من ذلك؛

»هَوْجَاءُ: تَرْمِي بِنَفْسِهَا فِي السَّيْرِ لِلنَّشَاطِ وَلاَ يُوصَفُ بِهِ الذَّكَرُ» (ابن جني، 2004، صفحة 102/3).

وما عهدناه في المعجميّة أن تُردّ هذه الكلمة إلى أصولها وتنضوي تحت مدخل (هَ وَ جَ) (ابن منظور، د ت، صفحة 4717)

2 .4الترتيب الداخلي للمداخل: إن التّرتيب الدّاخلي للمداخل عند "ابن جني " في كتابه "الفسر" اقتصر على نوع واحد من أنواع الترتيب وهو الترتيب بالاشتراك، حاله حال الصناعة المعجمية في عصره، حيث إنّنا نجده يحشد تحت اللفظ الواحد المعاني المتعدّدة له دون التفريق بين تلك المعاني، ومثاله النصوص المعجمية التالية:

» -الوِرْدُ: المَاءُ بِعَيْنِهِ، والوِرْدُ أَيْضًا العَطَشُ، وَالوِرْدُ الإِبِلُ، وَالوِرْدُ أَيْضًا الحُمَّى، وَالوِرْدُ الجُزْءُ عَلَى الرَّجُلِ يَقْرَؤُهُ» (ابن منظور، د ت، صفحة 1155.(

فهنا يتبين أن الترتيب كان من نوع الترتيب بالاشتراك، حيث أن المعاني المتعددة للفظ "الورد" جاءت محشورة ضمن مدخل واحد، ومن المفروض، بحسب المعجمية المعاصرة والّتي تدعو إلى ضرورة ترتيب الألفاظ ترتيبا مجنّسا، أن نجد خمسة مداخل لهذه الكلمة باعتبار عدد معانيها ودلائلها.

» -المَهَا: بَقَرُ الوَحْشِ، وَالمَهَا النُّجُومُ، وَالمَهَا البِلَّوْرُ» (ابن جني، 2004، صفحة 875/1)

» -الجِرْمُ: الجِسَدُ وَحَكَى أبُوعَمْرُو الشَّيْبَانِي جِلَّةٌ جَرِيمٌ، أيْ عِظَامُ الأَجْرَامِ، وَهِيَ الأَجْسَادُ، وَالجِرْمُ أَيْضًا: الصَّوْتُ، وَالجِرْمُ أَيْضًا اللَّوْنُ» (ابن جني، 2004، صفحة 471/3)

» -الجَدُّ: الحَظُّ، وَالجَدُّ: أبُو الأُمِّ والأبِ، وَ الجَدُّ: العَظَمَةُ والجَدّ: مصْدَرْ جَدَدْتُهُ أَيْ قَطَعْتُهُ» (ابن جني، 2004، صفحة 982/1).

5.خاتمة: وفي نهاية هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

-إنّ كتاب الفسر لابن جني لم يحمل في طيّاته شروحا لمعاني شعر ديوان المتنبي فحسب، كما قام به شارحو الدواوين الشعرية، وإنما حمل الكتاب نصوصا معجمية؛ من حيث مصادره واستشهاداته وترتيبه، وإفاضة وتنويع في التعريف، فاهتمّ بالألفاظ خارج المعنى الّتي وظّفت فيه وداخله، حيث مال "ابن جني" في شرحه للدّيوان ميولا لغويا، فقد كان يفيض في القضايا اللغوية التي تهم المفردات من حيث المبنى والمعنى.

-3يعد الكتاب كتلة واحدة متمثلة في نص كبير يحمل المئات من النصوص الصّغيرة والتي هي بدورها تحمل كل مبادئ النص المعجمي المحض، ولقد حفل كتاب "الفسر" بالكثير من القضايا المعجمية، إذ اتبع ابن جني منهجا معجميا في تفسير الألفاظ، وبذلك فإنّ الكتاب يحمل كل مقوّمات الجمع والوضع الّتي تقوم عليها الصناعة المعجمية؛ فمن حيث الجمع فقد جاءت مدوّنته شاملة جامعة، كذلك ممّا يحسب لان جني ويعتبر إبداعا منه هو قضية الاستشهاد بالشعر المولّد من حيث المعنى لا من حيث اللّفظ، وبذلك فإنّه استطاع أن ينصف الشعراء المولّدين من خلال دمج معانيهم الشعرية في الاستشهاد .

ومن حيث الوضع، فقد كان مثله مثل صنّاع المعاجم في ذلك العصر، حيث لم يتجاوز الترتيب بالاشتراك نهائيا فوقف عنده وكأنّه نسخة طبق الأصل عن المعجميين الّذين سبقوه.

وبذلك فإنّ النص المعجمي في كتاب "الفسر" هو نفسه النّص المعجمي في أيّ معجم من المعاجم القديمة، والّتي قيل عنها إنّها إمّا حسنة الجمع وسيّئة الوضع أو حسنة الوضع وسيّئة الجمع .

6.قائمة المراجع:

***الكتب**

-1أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط3، 1984.

-2أبو تمام، ديوان شعر ، طبعة دار المعارف، القاهرة، دت.

-3ابن جني، الفسر، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع، ط1، دمشق-سوريا، 2004.

-4حسان بن ثابت، ديوان شعر، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1983.

-5زهير بن أبي سلمى، ديوان شعر، تحقيق أحمد زكي العدوي، دط دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، 1994.

-6أبو زيد الأنصاري النّوادر في اللغة، ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1981.

-7ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1979.

-8محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1986.

-9 ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، دط، القاهرة-مصر، دت .

*المقالات:

-10إبراهيم بن مراد، قضية المصادر والمراجع في جمع مادة المعجم، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق-سوريا، المجلد78، الجزء1 .